

مقدمة

تهدرت الآراء في أصل كلمة (ايتيكت) . . . فبعض الثقة يقولون انها مشتقة من الكلمة اليونانية (stichos) ومعناها النظام والدرجات . بينما يقول آخرون انها مأخوذة من الكلمة الألمانية أو الكلمة التوتونية القديمة (stichen) ومعناها الأصلي الطابع أو البطاقة التي تلتصق من الخارج على الطرد أو الوثيقة لتبين محتوياتها . وهناك فريق ثالث يصر على أن كلمة (ايتيكت) فرنسية الأصل ، ومهما يكن من أمر الكلمة وأصلها فانها تعني - في الحياة العصرية - ما اصطلاحنا عليه من التصرفات الطيبة والصفات التي تميز الرجل المهذب .

والخلاف بين الفوضى وبين المجتمع المنظم ، هو أن الأخير انشأ لنفسه قواعد وأخلاقاً يطبقها افرادهم في نواحي حياتهم المختلفة سواء اكانت هذه الناحية اجتماعية أو عملية ، أو على المائدة ، أو عند اختيار الثياب . أو المراسلات . الخ . . . ولا يكون الشخص مهذباً الا اذا فهم واجباته الاجتماعية فهماً عميقاً ، واستطاع أن يطبقها في سهولة ويسر ولطف .

سولست الأخلاق الطيبة ضرورة لا مفر من التحلي بها في المجتمع بحسب - لأن لها قيمة عملية لا تقدر في دنيا الأعمال - بل انها مفتاح النجاح لكل من يتوق الى الفوز في عمله . ولا شك أن كثيراً من عدم الفوز الذي يلاقيه بعض الناس في حياتهم العملية مرده إما الى جهل هؤلاء الناس بقواعد آداب السلوك وإما الى تجردهم من صفة احترام الآخرين أو إلى إهمالهم قواعد الاحترام الضرورية في الحياة المتمدنية . . .

ومع ذلك كان آداب السلوك تنهض على أسس اعتمى كثيراً من مجرد

الملاحظة الرسمية للعادات الاجتماعية . انها شيء متأصل الجذور في طبيعة الشخص ، أو كما يقول جوتيه « ليست هناك علامة ظاهرية للاحترام إلا وهي تستقر على أساس أدبي عميق »

وينبغي أن يكون الاحترام غريزياً في المرء حتى يمكن أن نحكم عليه بأنه رجل مهذب . ولذا وجب أن نضع نصب اعيننا أن الاعراض الخارجية لهذه الغريزة تختلف من عقد الى آخر . شأنها في ذلك شأن الكلمات التي نستعملها في لغتنا اليومية . فان بعضها لا يلبث أن يموت ويحل محله الفاظ أخرى أكثر قرباً الى القلوب . أو كالثياب يتغير معظمها كل موسم . فما كان محبوباً منها بالأمس يصبح اليوم رذولاً غير مستحب . كذلك القواعد الرسمية والاشارات الخارجية لآداب السلوك تتعرض كثيراً للتعديل والتبديل بمرور الوقت . إلا أن ذلك لا يغير شيئاً من الحقيقة الثابتة وهي أن روح آداب السلوك تظل دائماً محتفظة بجوهرها ولكنها لا تنفالي في تحفظها بل تدع للقواعد التي نضعها لتوجيه حياتنا الاجتماعية واختلاطنا بالآخرين فرصة تكييف نفسها تبعاً للاوضاع الجديدة . .

ولقد كان هذا هو السبب الأول الذي حمل الآنسة ليليان ايشلر على مراجعة مؤلفها القيم عن آداب السلوك وادخال التعديلات الضرورية التي يقتضيها تطور الحياة الاجتماعية عليه . ولقد نجحت في ذلك ايما نجاح لأنها تسترشد بالعقل وحسن التقدير في عملها . ولأنها تحرص على مسابقة روح العصر أكثر من حرصها على ارضاء صدى التقاليد البالية .

وكان نتيجة ذلك أن وفقت الى اخراج مؤلف مترن يتسم بطابع العصرية المقبول ، فضلاً عن انه عملي بحت . . .

(١) Johann Wolfrang Goethe . جوتيه هو جوهان وفرنج . . . كاتب اجتماعي ومسرحي الماني عظيم بضارع شكسبير عند الانجليز وراسلين عند الفرنسيين ولد سنة ١٧٤٩ ومات سنة ١٨٣٢

وأكبر ظني أن الأنسة اشلق قد تعمقت كثيراً في موضوعات آداب السلوك، مع أنه لم يسبقها إلى مثل هذا التعمق أحد في ذلك المضمون . فهي لم تتخذ من قواعد آداب السلوك الظاهرية أساساً لكتابتها ، وإنما كان تحليل كل حركة وسكون تؤدها في كل مناسبة رائدها في عملها . ولهذا كانت القواعد التي سجلتها أكثر تركيزاً وأعمق رسوخاً في ذاكرة القارئ ، فأنت حين تقرأ هذا الكتاب لن تتبع ما فيه من قواعد على اعتبار أنها قواعد مسلم بها ، بل إنك تدرك (لماذا) وجب أن تتبع هذه القاعدة أو تلك . . .

وتمت مسألة أخرى جديرة بالاهتمام وهي أن الأنسة اشلق أجادت في التعبير عن مختلف نواحي آداب السلوك في أسلوب ممتع جذاب يستهوي النفس ويستأثر بالاهتمام . ومن حسن الحظ أن الكاتبة واسعة الاطلاع ملمة تمام الالمام بالتطورات التي طرأت على الحياة الاجتماعية منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا . ومن ثم فإن لهذا المؤلف قيمتين عظيمتين قيمة عملية وأخرى تاريخية

حين اعترمت نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية كنت أهدف إلى تحقيق امرين جوهرين . أولهما : إقامة معاملاتنا وعلاقتنا الأدبية والاجتماعية على أسس صحيحة بعد أن ظلت هذه العلاقات والمعاملات تسير على رسلها بغير قاعدة أو نظام ، وهو أمر لا يتفق مطلقاً مع الشوط البعيد الذي قطعناه في مضمار الرقي والمدنية . وثانيهما : انشاء تفاهم وثيق بيننا وبين العالمين الأوربي والأمريكي نظراً لأنه لم تعد هناك مندوحة من وجود هذا التفاهم الذي تستلزمه علاقات الشعوب بعضها ببعض ، وخصوصاً بعد أن أصبحنا أمة لها كيان سياسي واجتماعي معترف به في كل مكان

وقد اخترت هذا الكتاب بالذات لأنه أمريكي ولأن أميركا عبارة عن